

الدرس العاشر



الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

باب ما يُمْنَعُ لُبْسُهُ أَوْ يُكْرَهُ وما ليس كذلك.

- ومن المعلوم أنَّ الشريعةَ قد جاءت بمشروعيةِ ستر الأبدان، وأنَّ الله-جلَّ وعلا- قد أمرنا بذلك، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31]، والنُّصوصُ في الأمر باللباسِ متعدِّدةٌ، ولهذا فإنَّ الأصلَ في الألبسةِ أن تكونَ مباحةً، ولا يُقال بمنعها إلا بما وردَ فيه دليلٌ يدلُّ على المنع منها، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: 27]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، فالتَّسْتُرُوسِتر الأبدانِ بالثيابِ هو شأنُ أهلِ النبوةِ، وكشفِ الأبدانِ ونزعِ الثيابِ عنها إنَّما جاء من إغواءِ الشياطينِ.
- إذا تقرَّرَ هذا فإنَّ الأصلَ في الألبسةِ أن تكونَ على الإباحةِ إلا إذا وردَ دليلٌ يدلُّ على المنع منه، وقد أخذنا فيما سبق المنعَ من بعضِ أنواعِ اللباسِ مثل: الحرير، وقد وردَ في النُّصوصِ النَّهيُّ عن لبسِ الحرير، والمراد بذلك النَّهيُّ الرَّجَالُ دونَ النِّسَاءِ، فإنَّ النِّسَاءَ يجوزُ لهنَّ لبسُ الحرير، وسيأتي معنا أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- أُهديَ له حرير فأمر بتشقيقه على عددٍ من النِّسَاءِ اللاتي كنَّ من أهله.

{قال المؤلف-رحمه الله: (وَعَنْ حُذَيْفَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: نَهَانَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذِّبْيَاجِ، وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).}

- قوله هنا: (نَهَانَا النَّبِيُّ)، الأصل في النَّهي أن يدلَّ على التَّحريمِ والمنع، وأن يدلَّ على الفسادِ أيضًا.

- وقوله: (أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ) ، يُستفادُ منه تحريمُ الشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ ، وقد جاء في نصوصٍ أخرى تفسير ذلك بأنَّه يشملُ ما صنُع من الذَّهَبِ ، وما ضُبِّبَ بالذَّهَبِ ، وما طُلِيَ بالذَّهَبِ ، وهكذا الفضة ، ومثلُ الشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ الأكلُ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ والفضَّة ، ويدخلُ فِي هذا الصُّحُونُ والملاعقُ والسَّكاكينُ ، والشُّوكُ ، ويدخلُ فيه ما يُجَعَلُ إِنَاءً .
 - وهناك أشياء يتردَّد النَّاسُ فيها هل هي مِن بابِ اللباسِ أو مِن بابِ الآنيةِ ، فَأَنِيَةُ الذَّهَبِ والفضَّة محرمة على الرِّجَالِ والنِّسَاءِ ، بينما حُلِيّ الذَّهَبِ والفضَّة مباحٌ للنِّسَاءِ ، ويُمْنَعُ الرِّجَالُ مِن حُلِيِّ الذَّهَبِ ، ولذلك قد يقع التَّردُّدُ فِي أشياء هل تعتبر مِن الآنيةِ أو تُعتبر مِن اللباسِ ، ومن أمثلة ذلك مثلاً: ما يتعلَّقُ بما يُوضَعُ فِي الأقلامِ ، وريشة القلم ، والمحبرة ، وما قد يقع التَّردُّدُ فيه .
 - والتَّردُّدُ هنا بالنِّسبة للنِّسَاءِ فقط ، لأنَّهنَّ يُفَرَّقُ فيهنَّ بَيْنَ بابِ اللباسِ وبابِ الآنيةِ ، أمَّا الرِّجَالُ فإنهم يُمنعون من ذلك ، إلا أنَّ الرِّجَالِ فِي بابِ اللباسِ يُباحُ لهم الشَّيءُ اليسيرُ ، فإذا كان يسيراً جازاً للرِّجَالِ ، وأمَّا إذا كان شيئاً كثيراً فِي بابِ اللباسِ فإنه يُمنَعُ منه ، بخلاف بابِ الآنيةِ فإنه يُمنَعُ مِنَ القليلِ ومن الكثيرِ ، وهذا عندَ أهل العلم قد يُسمَّونه بالمسائل المتردِّدة ، إذا جاءنا شيء من الأشياء يقع التَّردُّدُ فيها هل يدخل بابِ الآنيةِ أو يدخل فِي بابِ الحُلِيِّ .
 - وقوله: (وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالْدَّبِياجِ) ، المراد هنا الحرير الذي يُؤخذ من دودِ القَرِّ ، فَإِنَّ الرِّجَالِ يُمنعون من لبسه ، وقد وردَ فِي النُّصوصِ إجازته للنِّسَاءِ .
 - وقوله: (وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ) ، يعني لا يجوز أن توضعِ الفُرُشُ فِي مواطنِ الرِّجَالِ من الحريرِ ، ومن ثَمَّ لا يجوز للرَّجُلِ أَنْ يُصَلِّيَ على سَجَادَةِ الحريرِ ولا أَنْ يجلسَ عليها ، وهكذا أيضاً فِي المجالسِ الخاصَّةِ بالرِّجَالِ لا يجوز أَنْ تُفرَشَ بالحريرِ ، سواء كانَ ذلك على المقاعد ، أو كانَ على الأرضِ ، أو كانَ على الجُدُرِ ، فإنه يُمنَعُ مِن وضعها فِي مواطنِ الرِّجَالِ من الحريرِ ، والدَّبِياجِ: نوعٌ فاخرٌ من أنواعِ الحريرِ .
- {وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِيّ قَالَ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَنَحْنُ بِأَذْرَبِجَانَ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَى عَنِ الْحَرِيرِ، إِلَّا هَكَذَا، وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، فِيمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي الْأَعْلَامَ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، إِلَّا مَوْضِعَ إصْبَعَيْنِ، أَوْ ثَلَاثٍ، أَوْ أَرْبَعٍ. وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ فِيمَا انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ: لَمْ يَرْفَعْهُ عَنِ الشَّعْيِيِّ غَيْرَ قَتَادَةَ، وَهُوَ مُدَلَّسٌ لَعَلَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُ، وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنِ ابْنِ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْيِيِّ، عَنْ سُؤَيْدٍ، عَنْ عُمَرَ قَوْلَهُ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ بَيَّانٌ وَدَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْيِيِّ، عَنْ سُؤَيْدٍ، عَنْ عُمَرَ قَوْلَهُ}{.
- هذا اللَّفْظُ هل مرفوع للنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو هو موقوف على عمر؟ هذا موطن خلافٍ .
 - وقوله: (وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِيّ) ، هذا من رواية الصحيحين ، واسمه: عبد الرحمن بن مل .

- **قال: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- وَنَحْنُ بِأَذْرَبِجَانَ** ، وذلك في غزوة غزوها **(مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- نَهَى عَنِ الْحَرِيرِ، إِلَّا هَكَذَا)** ، فيه تحريم الحرير ، **لَأَنَّ الْأَصْلَ فِي النَّوَاهِي أَنْ تَكُونَ لِلتَّحْرِيمِ.**
 - قوله: **(إِلَّا هَكَذَا)** ، استدلل أحمد بهذا اللفظ على أَنَّ مَنْ سَتَرَ عَوْرَتَهُ فِي الصَّلَاةِ بِثَوْبِ الْحَرِيرِ لَمْ تَصِحْ صَلَاتُهُ، لَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُمَثَّلَ الْأَمْرُ بِمَا يَكُونُ نَهْيًا، إِذْ كَيْفَ تَجْتَمِعُ النَّتِيجَتَانِ الْمُتَضَادَّتَانِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ؟
 - وقوله: **(إِلَّا هَكَذَا)** ، أي إلا الشيء اليسير الذي يكون بمقدار الأصبعين ونحوها، وفي لفظ **(مَوْضِعُ أَصْبُعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعٍ).**
 - قال: **(فِيمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي الْأَعْلَامَ)** ، المراد بالأعلام: الأشياء الظاهرة التي يُعَلَّمُ بها، مِنْ مِثْلِ طَرَفِ الثَّوْبِ، وَمِنْ مِثْلِ مَا يَكُونُ ظَاهِرًا فِي التَّطْرِيزِ أَوِ التَّطْرِيفِ أَوْ نَحْوِهَا.
 - وقوله **(فِيمَا عَلِمْنَا)** ، في بعض الكتب **(فَمَا عَتَمْنَا)** ، أي: ما أَخْرَأْنَا وما أَبْطَأْنَا إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُرِينَا هَذَا الْحُكْمَ، يَعْنِي أَنَّ عَتَبَةَ أَخَّرَ إِبْخَارَهُمْ بِالْحُكْمِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ وَأَنْ يَرَهُمْ ذَلِكَ.
- {وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- رَخَّصَ لِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَمِيصِ الْحَرِيرِ فِي سَفَرٍ مِنْ حَكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي الْبُخَارِيِّ: شَكَا إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- -يَعْنِي الْقَمْلَ- فَأَرْخَصَ لَهُمَا فِي الْحَرِيرِ، فَرَأَيْتُهُ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاةٍ}.**
- هذا الحديث فيه دلالة على أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْحَرِيرِ الْمَنْعُ، فَلَا يَجُوزُ لِلرِّجَالِ لُبْسُ الْحَرِيرِ، لَأَنَّهُ رَخَّصَ لَهُمْ فِي الْأَعْدَارِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ فِي غَيْرِ حَالِ الْأَعْدَارِ لَا يُرَخَّصُ لَهُمْ فِيهِ.
 - المراد بالرخصة: أَنْ يُوجَدَ الْوَصْفُ الَّذِي يُعَلَّلُ بِهِ الْحُكْمُ، ثُمَّ يَرْتَفَعُ الْحُكْمُ مِنْ بَابِ التَّخْفِيفِ عَلَى الْعِبَادِ، فَالْأَصْلُ أَنَّ لُبْسَ الْحَرِيرِ حَرَامٌ لِلرِّجَالِ، لَكِنَّهُ ارْتَفَعَ هَذَا الْحُكْمُ -وهو التَّحْرِيمُ- مَعَ وَجُودِ ثَوْبِ الْحَرِيرِ فِي حَالَةِ الْحَكَّةِ وَالْقَمْلِ، وَنَحْوَهُمَا.
 - وفي قوله **(فِي قَمِيصِ الْحَرِيرِ فِي سَفَرٍ مِنْ حَكَّةٍ)** ، ذلك أَنَّ الْحَرِيرَ لِلرِّجَالِ الْمَلْمَسِ، وَبِالتَّأَلِّي لَا يُؤْثَرُ عَلَى الْبَدَنِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْحَرِيرَ يَجُوزُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمَقْتَضِيَةِ لَهُ مِنْ مِثْلِ الْحَكَّةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْبَدَنِ، وَمِنْ مِثْلِ الْقَمْلِ الَّذِي قَدْ يَحْتَاجُ مَعَهُ الْإِنْسَانُ إِلَى حَرِيرٍ لَأَنَّهُ يَفْصَلُ بَيْنَ الْقَمْلِ وَالْبَدَنِ.
 - وقوله: **(فَأَرْخَصَ لَهُمَا فِي الْحَرِيرِ، فَرَأَيْتُهُ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاةٍ)** ،
 - ✓ **بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ بِجَوَازِ لُبْسِ الْحَرِيرِ فِي الْغَزْوِ** ، لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى اعْتِدَادِ النَّاسِ وَعَلَى قَوَّتِهِمْ، وَاسْتَدْلُوا عَلَيْهِ بِمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ مَشِيَةِ الْمُتَبَخَّرِ: **«إِنَّهَا مَشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ»¹.**
 - ✓ **وَالْآخَرُونَ قَالُوا: إِنَّهُ إِنَّمَا جَازَ لَهُمَا اللَّبْسُ مِنْ أَجْلِ الْعِلَالِ الْآخَرَى كَالْحَكَّةِ وَالْقَمْلِ، وَلَمْ يَجْزُ مِنْ أَجْلِ الْغَزْوِ**، وَكَوْنِهِ رَأَاهُمْ فِي غَزَاةٍ يَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْغَزَاةَ هِيَ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا لَبَسُوا الْحَرِيرَ.

¹ معجم الطبراني (6388)، وهو حديث مرفوع.

{وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حُلَّةً سِيَرَاءً فَخَرَجْتُ فِيهَا فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. وَعَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِأُمَّتِي وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ -وَصَحَّحَهُ- وَقِيلَ: إِنَّهُ مُنْقَطِعٌ}.

- هذه الأخبار كلها فيما يتعلق بلبس الحرير، قال: (كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ)، أي أعطاني وأهداني (حُلَّةً سِيَرَاءً)، فيها نقوش وهي من الحرير. قال: (فَخَرَجْتُ فِيهَا)، يعني لباساً لهذه الحُلَّة، والحُلَّة تكون للبدن. قال: (فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ)، يعني في وجه النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذلك أَنَّ لُبْسَ الحرير ممنوع منه في الشَّريعة، وفيه الإنكارُ بالإشارة -بدون تلفظ- وحينئذٍ فهم عليٌّ من وجه النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه لم يرضَ بهذا اللباس، قال: (فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي)، كأنه سألَ عن السَّبَبِ، فقيل له: بسببِ لُبْسِكَ لثيابِ الحرير، فقام بتوزيعها على النِّسَاءِ، وفيه دلالة على أَنَّ النِّسَاءَ يجوزُ لهنَّ لبس الحرير.
- قوله: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِأُمَّتِي وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا»)، فيه دليلٌ على جوازِ لبسِ النِّسَاءِ الذَّهَبَ والحريرَ، وعدم جوازه للذكور.

{وَعَنْ شُعْبَةَ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْعَطَارِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعَلَيْهِ مِطْرَفُ خَزٍّ، فَقُلْنَا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَلْبَسُ هَذَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا أُنْعِمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ "الشُّكْرِ"، وَالتَّبَهُّقِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ: "فُضِيلُ بْنُ فَضَالَةَ الَّذِي رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ ثِقَةٌ"، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: هُوَ شَيْخٌ}.

- قوله هنا: (خَرَجَ عَلَيْنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ) ، هو من الصَّحابة. قوله (وَعَلَيْهِ مِطْرَفُ خَزٍّ)، المِطْرَف: هو الذي يكونُ في طَرَفَيْهِ ألوان مُعَلَّمة. والخَزُّ: نوعٌ من الحرير.
- (فَقُلْنَا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَلْبَسُ هَذَا)، كأنهم أنكروا عليه، لكونه من الصَّحابة ويلبسُ هذا النَّوعَ من أنواعِ اللباس الذي فيه زينةٌ وفيه علامةٌ ظاهرة.
- (فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا أُنْعِمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ»)، في هذا دلالةٌ على استحبابِ اختيارِ الجيدِ من الثِّيَابِ، وفيه دلالةٌ على فضيلةِ ذلك، وفيه دلالةٌ على وصفِ الله -عَزَّوَجَلَّ- بصفةِ المحبَّة، فهو -جَلَّ وَعَلَا- يُحِبُّ كما أَنَّهُ يُحَبُّ، وفي هذا أَنَّ محبَّةَ الله قد تكونُ للعاملِ، وقد تكونُ للعملِ، وقد تكونُ للرَّابِطِ بينهما -كما في هذا الخبر- وفي هذا سعة نِعَمِ الله -عَزَّوَجَلَّ- على العبادِ، فَإِنَّهُ قد أُنْعِمَ عليهم بصنوفِ النِّعمِ.

{وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلِيَّ تَوْبِينَ مُعْصِفَرِينَ فَقَالَ: «أَأَمَّاكَ أَمْرُكَ بِهَذَا؟!» قُلْتُ: أَعَسَلَهُمَا؟ قَالَ: «بَلْ أَحْرِقَهُمَا». وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَى عَنْ لُبْسِ الْقِسِيِّ وَالْمُعْصَفَرِ. رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ.

وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: حَرَجَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ. وَالْمُرَحَّلُ: الَّذِي قَدْ نُقِشَ فِيهِ تَصَاوِيرُ الرِّجَالِ}.

- قوله هنا في حديث عبد الله بن عمرو: قال: (رَأَى النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ) ، المعصفر: هو الثوب الذي صُبَّغَ بالعصفر، وهو نوعٌ من أنواع المواد التي تُسْتَخْرَجُ من بعض النباتات، ويورث لون الصُّفْرَةَ، وتُصَبَّغُ الثِّيَابُ به. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «أَأَمَّاكَ أَمَرْتُكَ بِهَذَا؟!»، في هذا دلالةٌ على أَنَّ الصَّبِيَّ يلزمه من الأحكام ما يلزم الكبار، فيجبُ على أوليائه ألا يلبسوه الثياب المحرَّمة.
- فقال عبد الله بن عمرو: (أَغْسِلُهُمَا؟)، أي أقومُ بتنظيفهما وغسلهما بالماء، لعلَّ ذلك يُذهبُ العصفرَ منهما؟ قال: «بَلْ احْرِقْهُمَا»، ظاهرهما أَنَّ ذلك إنما كان عقوبةً لكونهم خالفوا النهيَ الوارد في هذا.
- (وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَهَى عَنْ لُبْسِ الْقَبِيِّ) ، القسي: نوعٌ من أنواع الثياب يكون فيها صوف وفيها حرير، وفي هذا دليلٌ على أَنَّ ما نُسِجَ من الحرير وغيره فَإِنَّهُ يُمْنَعُ منه، (وَالْمُعَصْفَرُ)، تقدَّم معناه.
- قال: (وَرَوَى)، أي الإمام مسلم، (مِنْ حَدِيثِ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: حَرَجَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ غَدَاةٍ) ، أي في أحدِ الأَيَّامِ نهارًا، (وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ)، المِرْطُ: يكونُ من ثيابِ الصُّوفِ، وقد يُضَافُ إليها شيء آخر. قال: (مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ)، فيه دلالةٌ على جوازِ نَسِجِ الثِّيَابِ مِنَ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ. والمُرَحَّلُ: ما فيه نقوش ورسومات، وقد فسَّره المؤلفُ هنا فقال: (وَالْمُرَحَّلُ: الَّذِي قَدْ نُقِشَ فِيهِ تَصَاوِيرُ الرِّجَالِ). وفي هذا دلالةٌ على جوازِ لُبْسِ المِرْطِ، وجوازِ اتِّخَاذِ الثِّيَابِ مِنْ شَعْرِ الْحَيَوَانَاتِ، وجوازِ النُّقُوشَاتِ فِي الثِّيَابِ إِذَا لم تكن مُلهيةً لِلإِسْهَاءِ.

بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ.



{عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ» ، وَلَيْسَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ}.

- قوله: (بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ) ، المراد بالكُسُوف: ذهابُ ضوءِ الشَّمْسِ، وذلك أَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْقَمَرُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ حَجَبَ الْقَمَرُ نَوْرَ الشَّمْسِ.

وَأَمَّا الْخُسُوفُ: فهو ذهابُ ضوءِ القمرِ، وذلك بأن تكونَ الأرضُ بينَ الشَّمسِ والقمرِ، وبالتالي لا يصلُ ضوءُ الشَّمسِ إلى القمرِ.

والْكَسُوفُ والخُسُوفُ يُمكنُ معرفة وقتهما بالحساب، لكنَّه لا يُشرعُ لنا أن نصليَّ حتى نراهما، فلو قَدِّرَ أَنَّ أَهْلَ الحساب قرَّروا وجودَ خُسوفٍ لكنَّنا لم نستطع رؤية الخُسوف لكون السَّماء محجوبة بالسَّحاب؛ ففي هذه الحال لا يُشرعُ لنا صلاة الخُسوف.

وصلاة الكُسوف محلُّ اتِّفاقٍ في الجملة، وإنَّما وقع الخلافُ في صلاة الخُسوف -المتعلقة بالقمر- وثبت أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- صلى صلاة الكُسوف من طرائق متعدِّدة، وإن اختلفوا في صلاة الكُسوف هل هي جهرية أو سرية؛ وسيأتي البحث فيها.

• أوردَ المؤلفُ حديثَ المغيرة بن شعبه -رضي الله عنه- قال: (انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ)، أي ذهبَ ضوءُها. (عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ) ، فقد يعتقدُ بعضُ النَّاسِ ارتباطَ الكُسوف بموت إبراهيم ابن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- ولا رابطَ بينهما، وإبراهيم مات وهو صغيرٌ، قيل ابن أربعين يومًا.

• (فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ) ، وكانوا يعتقدون في الجاهلية أنَّكُسوفَ الشَّمسِ إنَّما يكون عندما يموتُ مَنْ له مكانةٌ وشأنٌ، (فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ) ، أي بسبب موت إبراهيم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مكذبًا لهم: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» ، أي علامتان من العلامات الدَّالة على الله -جلَّ وعلا- «لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ»، وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الإنسان لا ينسبُ لنفسه من الفضل ما ليس فيه، وإلا لقال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- "نعم انكسفت لموت إبراهيم"، أو نحو ذلك.

• قال: «لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا» ، أي إذا رأيتم الشَّمسَ والقمر منكسفين، «فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ» ، فيه دلالةٌ على مشروعية خُسوف القمر كما قال أحمد، وفيه مشروعية الدُّعاء قبل صلاة الخُسوف، وفيه أنَّ الأصل أنَّ الإنسان يستمرُّ في الصَّلَاة حتى تنكسفَ الشَّمسُ بذهابِ الخُسوف أو الكُسوف.

{وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَهَرَ فِي صَلَاةِ الْخُسُوفِ بِقِرَاءَتِهِ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رُكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ}.

• قولها: (جَهَرَ فِي صَلَاةِ الْخُسُوفِ) ، فيه مشروعيةُ الجهر في صلاة الخُسوف، وصلاة الخُسوف -كما تقدم- أنَّه يرادُّ به خُسوف القمر، وتكونُ في الليل، وأما الكُسوف فيُرادُّ به ذهاب ضوء الشَّمس، ويكونُ في النَّهار، وظاهرُ هذا أنَّ عائشة أرادت الخُسوف الذي يكونُ للقمر، لكن بقيَّة الأحاديث تدلُّ على أنَّها أرادت الكُسوف.

• قالت: (جَهَرَ بِقِرَاءَتِهِ)، فيه مشروعيةُ الجهر في صلاة الكُسوف كما قال أحمد.

• (فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رُكْعَتَيْنِ) ، فيه دليلٌ على أنَّ صلاة الخُسوف تكونُ بركعتين، وهذا محلُّ اتفاقٍ في الجملة، وفيه أنَّها تكون بأربعة ركوعاتٍ، بحيث يركع في كلِّ ركعة بركوعين، وهذا الموطن من موطن الخلاف بين العلماء،

✓ فقال مالك والشافعي: لا تكون صلاة الكُسُوفِ إلا بركعتين، في كلِّ ركعة ركوعان، وبالتالي يكون هناك أربعة ركوعات.

✓ وأما مذهب الإمام أبي حنيفة فيقول: لا تُصَلَّى إلا بركعتين، في كلِّ ركعة ركوعٌ واحدٌ، كصلاة الفجر.

✓ وعند أحمد يجوزُ أن تُفعلَ بأكثر من ركوعين -ثلاثة، وأربعة- وإن كان الأفضل عنده أن تكون

بركوعين، ولكنه يُجيزُ أن يكونَ بثلاثة ركوعاتٍ وأربعة ركوعاتٍ. لماذا؟

لأنه قد وردَ في الأحاديث أنه صَلَّى بثلاثة ركوعاتٍ، وبأربعة ركوعاتٍ، ولكن لم تحدث صلاة الكُسُوفِ في عهده -صلى الله عليه وسلم- إلا مرةً واحدةً، وبالتالي نُقارن بين المرويَّات، ورواية الأكثر أنه قال (بركوعين في كل ركعة)، فحينئذٍ رجَّحنا هذه الرواية على غيرها من الروايات.

أما عند الإمام أبي حنيفة فإنه يقول: تُصَلَّى بركعتين وركوعين، في كلِّ ركعة ركوعٌ كصلاة الفجر، وهذا القول مردودٌ بالأحاديث الواردة من أنه كان يُصَلِّي الكُسُوفَ بركعتين في كلِّ ركعة ركوعان.

{وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّكْتَ؟ قَالَ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عَنْقُودًا وَلَوْ أَصْبَنَتْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» ، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ» قِيلَ: «يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟» قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: أَنَّهُ صَلَّى فِي كُسُوفٍ قَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ قَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ قَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، قَالَ: وَالْأُخْرَى مِثْلَهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي لَفْظٍ لَهُ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حِينَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ، وَعَنْ عَلِيٍّ مِثْلُ ذَلِكَ، وَحَكَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عِنْدِي فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ: أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الشَّمْسَ خَسَفَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَبَعَثَ مُنَادِيًا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعُوا، وَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رُكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ).

● قوله في هذا الخبر من حديث ابن عباس (انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ) ، فيه دلالة على أنَّ الكُسُوفَ والخُسُوفَ لا يدلَّانِ على فساد الرِّمَانِ، وإنَّما ما وردَ في الخبر أنَّه «وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهِمَا

عِبَادَهُ»^٢ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا رَأَى ذَهَابَ ضَوْءِ الشَّمْسِ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ ضَوْءُ الْإِيمَانِ وَنُورُ الْإِيمَانِ مِنْ قَلْبِهِ، وَخَشِيَ أَنْ يُزِيلَهُ اللَّهُ كَمَا أزالَ نُورَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتَذَكَّرَ بِذَلِكَ الْآخِرَةِ الَّتِي يُخَسَفُ فِيهَا الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ، فَكَانَتْ مَخَوِّفَةً لِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَبِالتَّالِي لَا تَنَافِي بَيْنَ الْعِلْمِ بِوَقْتِ الْخُسُوفِ مَعَ كَوْنِ الْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ مِنْ أَسْبَابِ الْخَوْفِ.

وفي هذا الحديث: مشروعية إطالة القراءة في صلاة الكسوف.

- وقوله: **(نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)** ، استدللَ به بعضهم على أَنَّ صلاة الكسوف لا يُجهر فيها، قالوا: لو جهر لبيّن لنا ماذا قرأ، ولكن الذي يظهر أَنَّ ابن عباس كان صغيرًا وبالتالي لم يُدرك جميع ما جرى، وحديث عائشة فيه تصريحٌ بالجهر، والتّصريحُ بالجهر خيرٌ من الدّلالة على عدمه.
- وفي هذا الحديث أيضًا: تطويلُ الركوع، ولكن ماذا يقول إذا رفع من الركوع؟ نقول: يقول "سمع الله لمن حمده" سواءً كان الركوع الأول أو الركوع الثاني.

• وقد اختلف أهل العلم بماذا تُدركُ الركعة؟

الجمهور على أَنَّ الرّكعة لا تُدرك في الكسوف إلا بإدراك الركوعين معًا. وبعضهم قال: تُدرك بالركوع الثاني. وفي هذا: دلالة على أَنَّ الرّكعة الثانية تكون أقل من الرّكعة الأولى في مقدار القراءة.

- قال: **(ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا)** ، فيه استحباب طول الركوع، **(وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ)** ، فيه مشروعية السجود، والمراد هنا أَنَّهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ كَمَا التّصريح في حديث عائشة.

• **(ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا)** ، يعني في الرّكعة الثانية، وفيه استحبابُ إطالة القراءة في الرّكعة الثانية في صلاة الكسوف.

- وقوله: **(وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ)** قيل: إِنَّهُ أَقَلُّ مِنَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَقَلُّ مِنَ الْقِرَاءَةِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ. والأظهر أَنَّهُ بَعْدَهُمَا جَمِيعًا.

- **(ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ)** ، فيه استحبابُ الإطالة في صلاة الكسوف حتى يغلب على الظن أَنَّ الكسوف قد زال.

- **(فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)** ، استدللَ به بعضهم على مشروعية خطبة صلاة الكسوف، والحنابلة يقولون: لا بأس أن يعظ، لكن لا يخطب خطبة كخطبة الجمعة.

فقال: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ»** ، أي علامتان من العلامات الدّالة على قدرة الله، **«لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ»** ، فإنّ هذا ليس من أسباب الخسوفات، **«فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ»** ، يعني الخسوف. **«فَاذْكُرُوا اللَّهَ»** ، ولعلّ هذا قبل نزول الصّلاة، وقد جاءت أحاديث أخرى بمشروعية الصّلاة.

- **(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاولْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّكُفْتَ)** أي تأخرت وتركت لهم الموطن.

^٢ أخرجه البخاري (1059) واللفظ له، ومسلم (912)

- قَالَ -صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ»، أي في ذلك الموطن، وفيه دلالة على أَنَّ الْجَنَّةَ قد خُلِقَتْ، وفيه تصويرٌ للجنة على الصَّحِيح، وقيل: إِنَّهَا الْجَنَّةُ حَقِيقَةً، واستُدِلَّ به على جوازِ ألا يَنْظُرَ الإنسانُ تحت قدميه في الصَّلَاة، فلو تركه لينظرَ أمامه جاز.
- قال: «فَتَنَاوَلْتُ عَنْقُودًا»، أي من عناقيد العنب، وقوله: «وَلَوْ أَصْبَنُتُهُ» يعني عنقود الجنة، فلو تمكَّنت منه وأخذته، وقوله: «لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا» وفيه أَنَّ الطَّعَامَ قد يُبَارَكُ فيه، وما ذلك إلا لفضيلة ما في الجنة.
- قال: «وَأَرَيْتُ النَّارَ»، أي مكَّنني الله مِن رؤيتها، «فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْطَعُ»، فيه شدة أهوال النَّار.
- قال: «وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». قالوا: (بِمَ) يعني ما السبب الذي جعلهنَّ أَكْثَرَ الرِّجَالِ في النَّارِ.
- (قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: «يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ») وهو الرِّوَج، أي لا يعترفنَّ له بالإحسان. «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ» أي جميع الأيام. «ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»، وفي هذا أَنَّ النِّسَاءَ يكتمن ما قد يصل إليهنَّ أو يندسِينه.
- ثم أوردَ المؤلِّفُ أيضًا من حديث ابن عباس أَنَّ (النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم: أَنَّهُ صَلَّى فِي كُسُوفٍ قَرَأَ ثَمَّ رَكْعَ، ثُمَّ قَرَأَ ثَمَّ رَكْعَ، ثُمَّ قَرَأَ ثَمَّ رَكْعَ، ثُمَّ قَرَأَ ثَمَّ رَكْعَ) ، وهذا على ما تقدَّم أَنَّهُ مذهب أحمد، وأَنَّهُ يجوزُ أن يُزَادَ في صلاة الكُسُوفِ الرُّكُوعُ أو الركوعان
- قال: (وَفِي لَفْظٍ لَهُ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حِينَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ)، أي كلُّ ركعةٍ فيها سجدتان، وكلُّ ركعةٍ فيها أربعة ركوعات.
- قال: (وَعَنْ عَلِيٍّ مِثْلُ ذَلِكَ) ، يعني أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعَةَ رَكَعَاتٍ فِي الرُّكْعَةِ الْوَاحِدَةِ، فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ.
- وَقَالَ البخاري: (أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عِنْدِي فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ: أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ) كأنه ضعَّفَ الرِّوَايَاتِ الأخرى، وكما تقدَّم أَنَّ أحمدَ يُجِيزُ أن يُصَلَّى في كلِّ ركعة ثلاثَ ركوعاتٍ وبأربعة ركوعاتٍ، واستدلَّ بهذه الرِّوَايَاتِ، والبخاري ومَن وافقه قالوا: صلاة الكُسُوفِ إِنَّمَا حصلت في عهدِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- مرةً واحدةً، وبالتالي لا بدَّ من التَّرجيحِ بين هذه الرِّوَايَاتِ.
- ثم أوردَ عن عائشة (أَنَّ الشَّمْسَ خَسَفَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَبَعَثَ مُنَادِيًا) فيه النَّداءُ لصلاة الكُسُوفِ. ماذا قال المنادي؟
- قال: (الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ)، وفيه مشروعِيَّةُ أن يُنادَى لصلاة الكُسُوفِ بهذا اللفظ.
- قال: (فَاجْتَمَعُوا)، فيه مشروعِيَّةُ صلاة الكُسُوفِ جماعة. (فَكَبَّرَ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ)، على مذهب الجمهور، كلُّ ركعةٍ فيها ركوعان وسجدتان. وهذا الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لمسلم.
- وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

